

التبيان في تفسير القرآن

(195) وقوله " وتخلقون إفاكا " أي تعملون أصناما ، وسماها إفاكا لادعائهم انها آلهة - وهو قول قتادة ، والجبائي - وقال ابن عباس: وتصنعون كذبا ، وتحقيقه يصنعون على ما يقدرون ، ثم قال لهم ابراهيم أيضا * (إن الذين تعبدون من دون الله) * يعني الاصنام * (لا يملكون لكم رزقا) * أي لا يقدرون على أن يرزقوكم ، وإنما يبتغى الرزق من القادر على المنع ، وهو الله الرازق. والملك قدرة القادر على ماله أن يتصرف فيه أتم التصرف ، وليس ذلك إلا الله - عز وجل - على الحقيقة لان له التصرف والقدرة على جميع الاشياء بلا مانع ، والانسان إنما يملك ما يملكه الله ، ويأذن له في التصرف فيه. فأصل الملك لجميع الاشياء لله. ومن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة ، لان العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة. والاصنام لا تقدر على ذلك ، فاذا لا يحسن عبادتها. ثم قال لهم * (وابتغوا عند الله الرزق) * أي اطلبوا الرزق من عند الله دون من سواه * (واعبدوه) * على ما انعم به عليكم من أصول النعم ، وأعلى مراتب الفضل * (واشكروا له) * ايضا ، لانكم اليه ترجعون يوم القيامة فيجازيكم على قدر اعمالكم. فمن عبده وشكره جازاه بالثواب. ومن عبد غيره وكفر نعمه جازاه بالعقاب. ويقال: شكرته وشكرت له يؤكد باللام. فمعنى الشكر له اختصاصه بنفسه من غير احتمال لغيره. ثم قال * (وإن تكذبوا) * بما اخبركم به من عند الله ، وما أدعوكم اليه من اخلاص عبادته * (فقد كذب أمم من قبلكم) * انبياءهم الذين بعثوا فيهم وليس * (على الرسول إلا البلاغ المبين) * يعني الا أن يوصل اليهم ويؤدي اليهم ما أمر به لكونه بيانا ظاهرا يمكنهم معرفته وفهمه ، وليس عليه حملهم على الايمان. ثم قال * (او لم يروا كيف يبدؤا الله الخلق) * اي ألم يفكروا فيعلموا كيف